منذ توقيع اتفاقية السلام فى كامب ديفيد الحدت اسرائيل موقفا يهدد فرص استمرار عملية السلام.

أستاذ التاريخ اليهودى المصرى:

بيجن ليس فى مقدرة ديجول

ترجمة : حسام رشاد

أجرت صحيفة دافار حديثا مع الأستاذ شيمون شامير أستاذ التاريخ اليهودى المصرى عقب عودته من مصر . تحدث فيه عن السلام ولقائه بالرئيس السادات والموقف الآن من مباحثات الحكم الذاتى .

س : هل السلام الإسرائيلى المصرى يحتضر ؟

ج : من غير الممكن الإجابة على هذا السؤال صراحة . فعدم التأكد هو شرط من شروط صنع السياسة . ولكن فقط هؤلاء الذين توجههم أيديولوجية واضحة يعرفون بالتأكيد ماذا سيكون المستقبل . وهناك فى واقعنا الآن سلسلة من العناصر السلبية تجاه عملية السلام

لقد حدث تغيير تجاه عملية السلام إلى الأسوأ فى منطقتنا . لقد بدأت هذه العملية فى السبعينات حينما بدا الشرق الأوسط صالحا لقبول « سلام » أمريكى .

فقد كانت للقوى الرئيسية بالمنطقة – إسرائيل والسعودية – مصالح رئيسية راسخة تلاقت مع فكرة السلام الإسرائيلى المصرى . وكان الجميع يريدون إبعاد الخطر السوفيتى وذوره خطر الحرب والخيلولة دون تعاظم القوى المتطرفة تختلف أنواعها . واعتمدوا جميعا على العوامل الاقتصادية والنفوذ الاقتصادى . ومن ثم قبلوا السيطرة الأمريكية . وحينئذ تغيرت الأمور لثورة إيران وغزو أفغانستان وأفول نجم الولايات المتحدة فى العالم بشكل عام وفى الشرق الأوسط بشكل خاص . وكانت مؤتمرات القمة العربية ببغداد تمثابة علامات على الطريق أى كانت رمزا لتحول استراتيجى . ولم تكن توقعات السادات مسايرة للواقع الجديد . تلك التوقعات الخاصة بانضمام عناصر أخرى لعملية السلام . وهناك عامل سلبى آخر هو قصر نظر العناصر العربية التى كانت تعتزم الانضمام لعملية السلام .

لقد قال السادات إن الزعامات المتشددة فى العالم العربى متمسكة بأفكار الأمس ولاتدرك أن السلام فى مصلحتهم وفى مصلحة دول المنطقة كلها .

ومن الممكن أن نفهم الملك حسين . فهو قد اختار موقفا سلبيا . فهو يجلس اليوم مرتاحا لما يحدث ولم ينضم لعملية السلام . كذلك يمكن أن نفهم العنصر الفلسطينى من سكان الأراضى المحتلة لكن موقفهم السلبى هذا لايضرهم فقط بل يضرنا جميعا

■ لكن ماذا يمنع السعودية والكويت . ؟

– إنها جزء من العالم العربى . ويبدو فيما الاعتبارات العربية والإسلامية عند حدوث خطر سوفيتى أو من المتطرفين من الداخل الذين يرى الرئيس السادات فيهم خطرا حقيقيا . يبدو البديل العربى والإسلامى لهذه الدول أقرب وأسرع .

وإزاء هذا الخطر يقول الرئيس السادات : إنه يجب الاستعداد له . ويجب أيضا تحرير المنطقة من عبء الحرب ضد إسرائيل بل إشراكها فى هذا الاستعداد لدرء الخطر السوفيتى عن المنطقة .

وهناك أيضا عامل سلبى آخر هو موقف إسرائيل حيث تتصرف كأن اتفاقية السلام مزدوجة المضمون . وكأن هذا المضمون له نهاية يمكن بواسطتها أن يستمر دون حاجة لدفعة السلام . وحكومة إسرائيل تفسير خاص بها لاتفاقات كامب دافيد كما لو أن إسرائيل حصلت من اتفاقية السلام مع مصر على السلام وعلى يهودا والسامرة وغزة أيضا . وبهذا تعد حكومة إسرائيل هى الوحيدة فى العالم المتمسكة بهذا التفسير (السلام ويهودا والسامرة وغزة) وتهدد محاولات اسرائيل لتجسيد هذا التفسير وترجمته إلى امر واقع فى الأراضى والقدس . تهدد فرص استمرار عملية السلام . وربما جعلت هذا المحاولات هذا الهدف خصيصا . لقد كانت لنا صعاب فى علاقاتنا بسكان الأراضى منذ عام ٦٧ . لكن كانت هناك فرص للتفاوض والتحدث مع هؤلاء السكان كما كانت هناك فرص للتوصل إلى تسوية وذلك حتى تولت حكومة بيجن السلطة . وفى العامين الماضيين تدهور الموقف ووصل إلى الخصومة . فقد ولدت فرص التفاوض تماما .

وهناك عامل تأثير التطورات السلبية – وخاصة من جانب إسرائيل – على الرأى العام المصرى . شريكنا فى عملية السلام . فمن أشد ملاحظاتى التى لاحظتها أثناء وجودى فى مصر هى تلك الرواسب العكرة التى خلفها إجراءات إسرائيل المتمثلة فى إقامة الكثير من المستوطنات الجديدة ومصادرة الأراضى . ومعاقبة سكان الأراضى المحتلة والإرهاب ضد رؤساء البلديات العربية والعمليات المتعلقة بالقدس . كل هذه الاجراءات تخلف فى قلوب الكثير من المصريين رواسب مرة وعكرة . ولديهم تفسير واحد لكل هذه الاجراءات ألا وهو أن إسرائيل لاتريد السلام مع العالم العربى . وأن هذه الاجراءات . الاستفزازية قصدت بها إسرائيل أن تتحدى مصر التى راهنت على استعداد إسرائيل للسلام . وهدد الرئيس السادات الذى بادر بعملية السلام . لقد قال فى وزير مصرى ان المظاهر السلبية الإسرائيلية ، فى العامين الماضيين الأخيرين ، تعد عقبة فى طريق السلام أكثر من رواسب الثلاثين عاما من الحروب .

لماذا ؟ لأن كثيرا من هذه المظاهر السلبية فى الثلاثين عاما كانت من نتاج الدعاية . وقد آمن الكثير بأنه إذا أتيحت لإسرائيل الفرصة للتوصل إلى سلام فإنها ستنهزها فورا . وبعد تصرفات إسرائيل بعد اتفاقية كامب ديفيد استنتج الكثيرون أن إسرائيل دولة توسعية عنصرية متعصبة يتأصل فيها التعصب الدينى القومى تماما كما قالت لهم الدعاية التى شكوا فيها طوال الثلاثين

عادا . إن أكثر لقاءاتى فى مصر كآبة ومدعاة للحزن ، لم تكن مع المعارضين لاتفاق السلام بل كانت مع هؤلاء الذين أيدوا السلام فى البداية وبها الآن يشككون فيه .

■ لقد تحدثت عن قصر رؤية زعماء عرب وقصر نظر حكومة إسرائيل . هل الطرفان لايفهمان مصالحها الحقيقية ؟

– إن مصطلح « المصالح الحقيقية » يثير الضحك . ثم من هو الذى يحق له أن يضع تعريفا لماهية المصلحة الحقيقية ؟ فى غالبية الأنظمة وفى معظم العصور كان البقاء فى الحكم هو المصلحة الحقيقية لصانعى القرارات ، حتى لو كانت هذه المصلحة داخلة فى إطار سياسى أكثر شمولا . إن القدرة على مواجهة ضغوط الحاضر فى سبيل تأمين مستقبل بعيد . تعد أمرا نادرا . لقد قرأت ما كتبته بربارا توخمان فى مقالتها اللامعة التى نشرت فى « سكوير » حيث قالت : إذا برز مايمكن ملاحظته من تاريخ كل العصور ، فهو ذلك اللغز الذى يكتنف الرجل السياسى حيث يلاحظ على أعماله فى المجال السياسى أنها تكون أكثر تعاسة وضعفا من مجالات الحياة الأخرى .

وتقول توخمان إن أغلب الساسة يخطئون فى فترة حكمهم سياسة تبدى لايعد عن نهاية أنوفهم . وفى هذه الأيام عندما تتوارد الأنباء عن دخول المنطقة فى العصر النووى ، وحيث يقف الاتحاد السوفيتى على الأبواب ، فهل هناك شئ أكثر مطلقية من اعتبار أن إبعاد خطر الحرب هو المصلحة الحقيقية لكل دول المنطقة ؟ لكن زعماء الدول العربية السياسية تمل عليهم التمسك بقرارات مؤتمر بغداد وعدم الانضمام للرئيس السادات . وهناك أيضا عامل الأيديولوجية التى وجدت فى عصرنا لتفسر الواقع والتى تعد اليوم أحد العوائق التى تحول دون فهم الواقع . فالمبادئ الأيديولوجية سواء العربية أو الإسلامية هى التى تؤثر على العرب لكن تأثيرها نراه أوضح وأوضح : فالتمسك بأرض اسرائيل الكاملة والتطرف والتعصب المؤديان بنا إلى العزلة فى العالم والمؤديان إلى فقدان صداقتنا مع الولايات المتحدة وإلى تقويض فرص السلام . هذه حالة واضحة وجلية من حالات الأيديولوجية التى تتنكر للواقع أولا يمكن أن نسميه بالمصلحة الحقيقية للمجتمع .

■ ألم ينصرفوا جميعا كما ينبغى ، باستثناء السادات ؟

– لقد اعتقد السادات أن بيجين رجل قوى ، فاحتل هذا المعنى مكانا رئيسيا فى تفكيره . لقد كان يرى أن هذا هو أهم شرط يمكنه من البدء فى عملية السلام . لقد عرف السادات أن هذه العملية تقتضى إجراء تغيير فى القيم الراديكالية بالمجتمع الإسرائيلى ، واعتقد السادات أن بيجين من طراز دبجول القادر على هذا التغيير كما فعل السادات فى بلاده .

ولكن لم يحدث هذا . فبيجين لايرغب فى مثل هذا التغيير ، وبالطبع فإنه ليس دبجولا . من ناحية المقدرة على إحداث تغيير فى الاتجاه

الملك حسين
لم ينضم لعملية السلام واختار موقفا سلبيا

شيمون شامير
حديث عن السلام ولقاء بالرئيس السادات

احسان عبد القدوس
منازل جزء من أرض الانسان المصرى هدلا

السياسى . ولقد فهم السادات ذلك بعد فترة ما ، لكنه لايزال يأمل فى أن الشخصيات المحيطة ببيجين سوف توجهه للاستمرار فى دفع السلام .

■ وهل أخطأ السادات فى تقديراته فيما يتعلق بالعالم العربى ؟

– من الصعب معرفة ذلك . لكن موقف العرب تأثر بالتغييرات فى المنطقة . ومن الصعب معرفة ماذا يكون تصرف الدول الحساسة بالمنطقة : السعودية والأردن لو لم تحدث هذه التغييرات .

■ هل تغير نظام الحكم فى إسرائيل سيحدث تحولا فى عملية السلام ؟

– ربما بعد تغير نظام الحكم فى إسرائيل تصبح تقديرات السادات أقرب من الواقع لكنه ، لم يبن خطواته منذ البداية على هذا الفرض . بل على العكس : فقد قال فى الرئيس السادات أكثر من مرة إنه يفضل أن يصل إلى نهاية العملية مع بيجين لو كان هذا ممكنا . وقد اعاد على مسامعى مقالته ليجين نفسه : مناحم ، لماذا لاتترك للآخرين اختصار الوقت ؟ فاذا لم تتم العملية فسوف يتهمنا من سيأتى بعدك للأسف .

واليوم فإن السادات أدرك أن إتمام بيجين لعملية السلام غير ممكن ، وأن بيجين ، وصل لنهاية الطريق ، على حد تعبيره .

وكبار القادة المصريين يبدون اهتماما كبيرا بمواقف حزب العمل ويتابعون تصريحات شمعون بيريز . ومن الصعب القول بأن لديهم صورة واضحة عما ستكون عليه سياسة حزب العمل المستقبلة . وقد قال لى كثير من المصريين إنه من الممكن أن توجد جذور السياسة التى ينتهجها بيجين لدى حكومات العمل السابقة ، فلحزب العمل مهمة وهى توضيح مبادئه لهؤلاء الناس وإقناعهم بالتمسك بها . وأنا أرى أن تصويت حزب العمل بالكنيست على قانون القدس سبب خسارة كبرى من هذه الناحية .

■ ألم تجد فى القاهرة كلها واحدا يقدر تنازل بيجين وإسرائيل عن كل سيناء ؟

– فى مصر تقدير لالتزام إسرائيل وللسلامة تنفيذ الاتفاق بشأن سيناء من جانبها وربما أيضا لاستعدادها للجلاء عن كل سيناء فى إطار السلام .

وعلينا أن نفهم أن المصريين يرون فى عودة سيناء أمرا طبيعيا تماما مفروغا منه ، فقد عرض الاسرائيليون الانسحاب من سيناء فى يونية ٦٧ بعد بضعة أيام من حرب الأيام الستة ، لقد أعلن السادات قبل سنوات من سفره إلى القدس ان سيناء فى جيبه وأن الصراع والنقاش مع إسرائيل هو حول أمور وعناصر أخرى من عناصر النزاع . والمصريون غير منحازين من الناحية العاطفية مع الفلسطينيين ، بيد أنهم يرون فى الموضوع الفلسطينى أساس اتفاق السلام ، وأنه محك اختباره . وبمصطلحات الاتفاق القومى المصرى والعرفى فإنه من غير الممكن إعطاء الصلاحية وإجازة اتفاقيات كامب ديفيد نصا وروحا ، لكن فرضية أن اتفاق السلام يؤدى إلى أى نوع من تقرير المصير للفلسطينيين ، هذه الفرضية هى فقط التى تعطى الشرعية لهذه الاتفاقات .

■ هل بسبب عقبات الحكم الذاتى فقط أغلق المصريون تطبيع العلاقات ؟

– يبدو لى أن كلمة « أغلق » حادة جدا . هناك سفارة بكلتا الدولتين . وشركتا العال وتفريتى تدرج طائراتهما أجواء الدولتين . وهناك السياح الإسرائيليون يزورون مصر . لكن ليس هناك شك فى أن الجمود الذى تبديه السلطات المصرية تجاه بعض مجالات التطبيع لايساعده على التحليق والانطلاق .

ومعيار المصريين الحاسم فى ذلك هو أنه إذا لم تكن هناك حياة وروح للحكم الذاتى فإن الأمر كذلك بالنسبة للتطبيع .

ويجب علينا ألا نستهين بالعنصر الشعبى للموقف السلبى تجاه التطبيع من الجانب المصرى . فكثير من المصريين يعتقدون أنهم لو سمحوا لأنفسهم بالاشتراك بصفة شخصية فى إقامة علاقات متبادلة وثيقة مع إسرائيل ومع إسرائيليين فإن مبادئهم الوطنية وكرامتهم الشخصية سوف تضار . كما أن هناك أيضا خيبة الأمل والغضب بسبب مواقف إسرائيل تجاه المشكلة الفلسطينية .

وهناك مصريون كثيرون يرون أن الظروف غير مواتية الآن . لقد قال الأديب إحسان عبد القدوس إن الإسرائيلى يستطيع أن يتنزه فى القاهرة ورأسه مرفوع فى حين أن المصرى لايمكنه أن يكون كذلك مادام جزء من أرضه محتلا . وأن المصرى إذا تمشى فى تل أبيب فإنه سوف يشعر بإذلال ما . لقد التقيت بضع مرات بخمسة من أساتذة الجامعات المصرية الذين يؤيدون والذين يريدون اجراء حوار مباشر مع إسرائيل . ولكن بسبب الضغط النفسى والأحلاق الذى يمارسه عليهم زملاؤهم احجموا عن زيارة إسرائيل . ويجب أن نضيف أيضا إلى ذلك مصالح بعض الشخصيات والهيئات المصرية الخاصة المرتبطة بالعالم العربى . فإن أى اتصال بإسرائيل يهددهم بالضرر المادى وبأضرار أخرى .

وأرى أن القادة المصريين الذين لايشجعون على مزيد من اشتراك ومساهمة بلادهم فى التطبيع ، أرى أنهم على خطأ . أيا كانت الأسباب . فالعنصر الرئيسى الذى يستطيع تعبئة حركة السلام فى الجانب الإسرائيلى هو إدراك أن التنازلات تؤدى إلى السلام . إن شكوك الإسرائيليين إزاء السلام التى يغذيها الموقف المصرى الحالى تضر بمصالح سياسة السلام المصرية .

■ هل هناك أمل بالنسبة لعملية السلام ؟

– لقد أوردت الكثير من العقبات والصعاب . لكن هناك أيضا جوانب مضيئة . إن سر قوة مبادرة السلام يكمن فى واقعيتها وعمليتها ، إن السلام بين مصر وإسرائيل هو تقريب أملاه الواقع وفرضه قسرا . إننى واثق من أن السادات جاء إلى القدس ، على الرغم من الوساوس والتردد التى صاحبت قراره ، لأنه أحس أن هذا واجبه كمواطن مصرى وكزعيم مسئول . وأعتقد أن رئيس الحكومة بيجين وقع على اتفاق السلام وتعهد – فى إطاره – بقبول أمور لم يعتقد من قبل – أنه سيضطر لقبولها لأنه لم يكن أمامه خيار آخر كرئيس حكومة إسرائيل فى هذه المرحلة التاريخية ، والضرورة للسلام تزداد بمرور الوقت على الرغم من أن عناصر كثيرة ترفض عملية السلام ، وفى الجانب الإسرائيلى فإنى أعلق الآمال على الحكومة القادمة . لقد كانت ميزة حكومات حزب العمل التقليدية هى واقعيتها وعمليتها ، تلك الواقعية التى ترى أن مشكلة إسرائيل الرئيسية هى الأمن وهى المشكلة التى يجب حلها . إننى واثق من أننا عندما نصل إلى المرحلة التى نتحدث فيها مع مصر والآخرين عن الضفة الغربية وقطاع غزة بمصطلحات الأمن الإسرائيلية ، فإننا نكون قد ضمنا نصف الحل فى أيدينا . لقد سمعت فى مصر مثل هذه الآراء من مصريين يبدون اليوم بخلاف الأمس ، لقد أكثر حاجة إسرائيل الماسة للأمن ولاعتبارات إسرائيل لأهمية التى تتضمنها مشاريعها المستقبلة . □